أمي الحبيبة، أنصحك أن تنسي النقود

اقتصادي في صندوق النقد الدولي يشرح لأمه موضوع عملة البنوك المركزية الرقمية

توماسو مانسيني-غريفولي

واشنطن العاصمة، مارس ٢٠٢١

أمي الحبيبة،

أتمنى أن تصلك رسالتي هذه وأنت بأطيب حال، في إيطاليا. لقد سعدت كثيرا بزيارتي لك مؤخرا؛ وها نحن سنعود مرة أخرى للقاء عبر شاشات التواصل المرئي لبضعة أشهر. ولكننا قطعنا شوطا طويلا في هذا الصدد منذ زمن المهاجرين في القرن الماضي الذين لم يكن بوسعهم التواصل إلا بكتابة الرسائل- على أمل وصولها في نهاية المطاف. ومع ذلك، وبينما كنت أفرغ حقائبي، فقد عثرت على بقايا من زيارتنا تلك، عبارة عن بضع عملات اليورو النقدية التي لم أنفقها أثناء زيارتي وهي الآن تذكار لزيارتي لك. وكم أود لو كان بوسعي إرسالها إليك بنفس سهولة اتصالي بك عبر الهاتف. ولكن قد لا يمضي وقت طويل حتى يصبح ذلك سهل المنال.

فقد يأتي اليوم الذي تحل فيه العملة الرقمية الصادرة عن البنوك المركزية محل النقود التي تنفقينها في الأسواق. نعم يا أمي، هذا هو نطاق عملي في صندوق النقد الدولي، والذي تستفسرين عنه دائما ولكن لم تسنح لنا الفرصة لمناقشته قط.

أعلم أنك تحبين هذا الشعور بالأمان الذي توفره النقود، ذلك الإحساس المادي عند الإمساك بورقة نقدية جديدة. إنه الشعور بأنك تملكين زمام الأمور في إدارة شؤون نفقاتك ويذكرك بأنك جزء من اتحاد نقدي له قيم مشتركة وملتزم باستقرار الأسعار.

ولكن هل تذكرين عندما سُرِقت حافظة نقودك؟ فالنقود ليست آمنة تماما. فضلا عن اضطرارك لتغيير مسارك للذهاب إلى أحد البنوك لسحب بعض النقود، بعد إقفال فرع البنك القريب. ومنذ بداية هذه الجائحة لم يعد سوى القليل من المحال التجارية التي تقبل التعامل بالنقود لاعتبارات تتعلق بالصحة العامة. وحتى المخبز، لم يقبل منا التعامل بالنقود إلا من قبيل المجاملة، هل تذكرين؟ ولكن في المرة القادمة قد لا يكون لديه ما يكفي من النقود لرد باقي مبلغ الورقة النقدية بقيمة ٥٠ يورو التي دفعتِها.

إنك عادة ما تصفينني بكلمة «الأمريكي» عندما أخرج إحدى بطاقاتي البنكية لأدفع بها. هذا صحيح يا أمي، فهذه البطاقات هي الوسيلة الوحيدة التي استخدمها هنا في الدفع؛ وأرى أنها أسهل كثيرا!

ولكن لن يتفق كل الناس على هذا الأمر. فالذين لا يملكون حسابات مصرفية يعتمدون على النقود أكثر منك حتى في تعاملاتهم. ولكن ماذا سيحدث لهم إن اختفت النقود؟

فقد يأتي يوم يستخدم فيه الناس عملة البنوك المركزية الرقمية، وهي بمثابة صيغة رقمية من النقود يمكنك الاحتفاظ بها على هاتفك المحمول، في أحد تطبيقات الهاتف الذي يُعرف باسم المحفظة الرقمية، وهو أشبه بذلك التطبيق الذي نستخدمه في تبادل الرسائل. وبوسعك تحويل الأموال إلى هذه المحفظة من حسابك المصرفي، أو مجرد الاحتفاظ فيها بالأرصدة المحولة إليك من جهات أخرى. وعلى سبيل المثال، بدلا من أن أرسل إليك صورة عبر الهاتف، سيكون بوسعي أن أرسل عملات اليورو التي لم أنفقها.

ويتوقف ذلك بطبيعة الحال على حيازتي محفظة رقمية بعملة اليورو. وسيتعين على الأرجح أن أقوم بالتسجيل لتفعيل هذه المحفظة وتقديم بيانات جواز سفري وغير ذلك من المعلومات. وليس القصد من ذلك هو السماح للدولة بالتطفل على شؤوني الخاصة، وإنما للتأكد من عدم وصول الأموال لغير الأسوياء من الناس، كالجماعات الإرهابية. أرجوك لا تقلقي يا أمي فأنا لست على صلة بأي من هؤلاء. فمن سواك أرسل إليه الأموال بأي حال؟!

وعلى أي حال، فإن هذه الشواغل المتعلقة بالخصوصية لها أهمية بالغة. فالنقود تسمح بإخفاء الهوية. فلو أننا أكلنا الكعك ونحن في طريق العودة من المخبز إلى المنزل، ما كان لأحد أن يعرف أننا اشترينا كعكا. ولكن يظل السؤال الذي ينتظر الإجابة هو إلى أي مدى ستسمح البلدان بإخفاء

هوية المتعاملين بالعملة الرقمية. فقد يمكنك تجاوز هذا الأمر عند شراء الكعك، ولكن ليس في حالة شراء سيارة.

أعتقد أنه قد تعلو وجهك ابتسامة وأنت تقرأين هذه السطور وتظنين أنني تماديت كثيرا في حماسي — وأن الأمر كله لن يحدث إلا في أفلام الخيال العلمي. كلا، على الإطلاق. فجزر البهاما لديها بالفعل عملة رقمية صادرة عن البنك المركزي. وهناك بلدان كثيرة أخرى تجري حاليا التجارب على هذه العملات وتتحقق من جدواها. وإذا أردت رأيي، فإنها مسألة وقت وليست إمكان حدوث ذلك.

وهناك مزايا محتملة هائلة وراء ذلك. فبعض البلدان ترغب في خفض تكاليف التعاملات بالنقد، وخاصة عبر الأقاليم الشاسعة أو الجزر المتعددة. وبعضها حريص على تحسين مستوى الشمول المالي، بحيث تتاح لمن لا يملكون حسابات مصرفية فرصة الاستفادة من إحدى وسائل الدفع مع تضاؤل استخدام النقد. وتمثل المدفوعات، بالنسبة لكثيرين، الخطوة الأولى للاستفادة من الخدمات المالية الأخرى مثل حسابات التوفير والقروض.

كذلك ينتاب بعض البنوك المركزية القلق إزاء تزايد خضوع نظم المدفوعات لهيمنة عدد قليل من الشركات الكبرى، والأجنبية غالبا. ولذلك، فإنها تهدف إلى توفير بديل محلي جذاب، يصلح أيضا كنظام مدفوعات مساند ويحفز القطاع الخاص على تقديم خدمات عالية الكفاءة بتكلفة منخفضة.

ولا يفوتنا أن نفكر في مزايا الابتكار — فالعملة الرقمية الجديدة يمكن أن تكون مثل الكمبيوتر الشخصي أو الهاتف الذكي، فتحفز تطوير خدمات واستخدامات مبتكرة جديدة.

ورغم هذه المزايا، تأخذ البنوك المركزية جانب الحذر في مواصلة التقدم على هذا المسار، وهي محقة في ذلك. فنظم المدفوعات تتسم بأهمية نظامية. ولا ينبغي لها أن تفشل، أو تنهار، أو تتعرض لهجمات إلكترونية، أو تقع فريسة لاستخدامات المجرمين في عمليات غسل الأموال أو تمويل الإرهاب.

وهناك مخاطر أخرى أيضا، ربما أهمها ما يتعلق بتمويل البنوك. فما الذي سيحدث لو أنك قررت سحب مدخراتك من البنك وحيازة عملة البنك المركزي الرقمية فقط؟ أعرف أن الشكوك أخذت تساورك تجاه كفاءة البنوك الكبيرة منذ وقوع الأزمة الأخيرة. ولكن البنوك ضرورية لتوجيه مدخراتك في قنوات لتمويل مشروع شخص آخر. وربما يكون صديقنا الخباز بحاجة لقرض لشراء فرن جديد. لذا من الضروري إيجاد سبل للحد من التحولات الكبيرة أو الحادة بعيدا عن الودائع المصرفية. فقد تفرض بعض البنوك المركزية رسوما عند تجاوز حيازاتك من العملة الرقمية مبلغا معينا — سنرى ما سيحدث.

وبالمثل، قد يختار بعض الأفراد حيازة عملة رقمية صادرة عن بنك مركزي أجنبي، إذا كانت تعتبر أكثر أمانا، أو أكثر استقرارا، أو ربما أكثر كفاءة وسهولة في الاستخدام. وقد يمثل ذلك مشكلة للنظام المصرفي المحلي وللبنوك المركزية التي تسعى إلى توجيه دفة اقتصادها من خلال أسعار الفائدة على الأصول بالعملة المحلية. ولذلك قد يتعين على البنوك المركزية إيجاد طرق لإدارة تدفقات العملات الرقمية الوافدة والخارجة عبر الحدود. وهذا موضوع كبير مفتوح لا نزال عاكفين على دراسته.

وأخيرا، قد تتعرض مصداقية البنوك المركزية للخطر، وسوف يصبح الطلب عليها ضخما. فهل تتخيلين البنك المركزي وقد أصبح أشبه بشركة لبرمجيات الكمبيوتر، فيكون بحاجة دوما للبقاء في موقع الصدارة من التطورات التكنولوجية ويقوم بتلبية احتياجات قاعدة متنوعة وسريعة التطور من المستخدمين؟

ولحسن الحظ، لن تكون البنوك المركزية بمفردها في التعامل مع هذا الأمر. فالقطاع الخاص بوسعه أن يدخل شريكا معها لتوفير الجوانب التشغيلية للعملات الرقمية. وعلى سبيل المثال، من الممكن أن تتيح لك شركة خاصة إمكانية إرسال الأموال إلى رقم هاتفي مسجل بدفتر عناوينك على الهاتف (ورقم هاتفك يا أمي هو الأول في دفتر عناويني)، ويرتبط هذا الرقم من وراء الكواليس بهوية مستخدم متحقق من صحة بياناته. ويمكن أن تقوم الشركات الخاصة أيضا بتصميم المحافظ الرقمية للاحتفاظ بالعملات الرقمية الرسمية، كما يمكنها حتى إنشاء عملاتها الرقمية الخاصة بها، وذلك بدعم كامل ورقابة تامة من جانب البنك المركزي (على عكس العديد من العملات المشفرة المطروحة في الأسواق).

ولكن لا تشغلي بالك كثيرا بهذه التفاصيل الفنية؛ فهذا صميم عملي. كل ما تحتاجين معرفته هو أنك تستخدمين وسيلة دفع آمنة ومستقرة وكفؤة.

والآن أصبحت تعرفين طبيعة ما أقوم به من عمل، وسبب سعادتي البالغة به. ومع ذلك، أعلم أنك سوف تصرين على دفع ثمن الكعك عندما أزورك المرة القادمة — مستخدمة على الأرجح ورقة نقدية جديدة! FD

ابنك المخلص،
توماسو

توماسو مانسيني-غريفولي هو رئيس شعبة في إدارة الأسواق النقدية والرأسمالية في صندوق النقد الدولي.

الرسم التوضيحي: ISTOCK/SULJO; FLOORTJE; 1ST-ARTZONE; IVAFET; GRAFFIZONE; JANOKA82; SBORISOV